المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16 شباط 2025
No.16 Feb 2025

الشخصية الهامشية في مقامات الحريري

م.د. علاهن عبد الامير عبد الحسين العبادي
جامعة ذي قار – كلية الآداب
البريد الالكتروني : tmaralara@gmail.com

ملخص البحث :

موضوع البحث هو (الشخصية الهامشية في مقامات الحريري) ، والهدف منه دراسة هذه الطائفة من المهمشين في مقامات الحريري ، وتصنيفها في ضوء نظريات النقد الثقافي على نحو يساعد في الوقوف على مدلولاتها الدقيقة ، من خلال السياقات المختلفة التي استعملت فيها ، لتضيف لبنة جديدة إلى ما سبقها من الدراسات ، تساعد على تحقيق الهدف المنشود في الوقوف على هذه الشخصيات المهمشة ، في مقامات الحريري .حيث سيقوم البحث بجمع واستقصاء النصوص الدالة على التهميش ، والتعرف على وحوه الاستعمال وذلك من خلال رعاية الحريري في مقاماته بتصوير شرائح المجتمع العباسي ، وطبقاته المتفاوتة ، في أسلوب قصصي يأتي على كثير من تفاصيل الحياة الاجتماعية آنذاك، حيث يمعن في وصف أحوال بعض الطوائف المهمشة ، وخاصة الفقيرة منها ، ممثلة في أصل الكدية أو بني ساسان، وتصنيفها ضمن نظريات النقد الثقافي

كلمات مفتاحية : الشخصية – الهامش – مقامة – الحريري

The Marginal character in Al-Hariri's Maqamat

ALAHIN ABDULAMER ABDULHUSEIN ALIBADI
THE-QAR UNIVERSITY – FACULTY OF ARTS

Abstract

The subject of the research is (The marginal character in Al-Hariri’s Maqamat), and its aim is to study this group of marginalized people in Al-Hariri’s Maqamat, and classify them in light of the theories of cultural criticism in a way that helps in identifying their precise connotations, through the different contexts in which they were used, to add a new studying to the previous studies, helping to achieve the desired goal of identifying these marginalized characters in Al-Hariri’s Maqamat. Whereas the research is to collect and investigate texts indicating marginalization, and identify the aspects of its use through Al-Hariri’s interest in his Maqamat to depict the segments of Abbasid society and its different classes, In a narrative style, he covers many details of social life at that time, as he delves into describing the conditions of some marginalized groups, especially the poor ones, represented by the origin of the beggars or the Sassanids, and classifying them within the theories of cultural criticism.
Keywords : Personality – Refernce – Maqama – Al-Hariri

من العناصر المهمة والأساسية في كل عمل إبداعي ،الشخصية ، بوصفها :"... عنصر البناء الاجتماعي في كافة مستويات المجتمع"[1].

فلأشخاص هم اللذين يمثلون مجتمعاتهم وأوطانهم بطريقة مثالية.وتذهب يمنى العيد بالقول أن : "الفعل هو مايمارسه أشخاص بإقامة علاقات فيما بينهمينسجونها وتنمو بينهم ، فتتشابك وتتعقد وفق منطق خاص بها"[2].

والشخصية في أي عمل فني أما أن تكون شخصية مركزية تمثل الفئةالقوية ،التي تتميز بسيطرتها ونفوذها في المجتمع ، لما تملكه من مؤهلات مادية ، أو مناصب عليا ، تسمح لها بالتعالي والسيطرة إذ يعتبر المال والسلطة من أهم وسائل إثبات الذات في المجتمع والسيطرة على الآخر.

هذا المصطلح لغة :

فقد وردهذا المصطلح في اللغة بعدة دلالات منها : "هَمْشَ والهَمْشَةُ:الكلام والحركة ،وإمرأة هَمْشى الحديث بالتحريك ، تكثر الكلام وتجلّبوالشخصية الهامشية وهي موضوع بحثنا فلابد أن نقف عند دلالة"[3].

والهمش كثرة الكلام وكأننا من خلال هذا التعريف ، ندرك أن كثرة الكلام والثرثرة والإطناب من سمات الهامش ونجد أن الأدب الهامشي هو أدب الغوغاء أو أدب العامة من الناس ،فالكلمة تحيلنا إلى الحركة ، وتخرجنا من سكون الصمت.

وفي موضع آخر أيضا : "همّش يهمّش تهميشا : الكتاب ونحوه أي : أضاف ملاحظات على هامشه وهمّش الموضوع أي جعله هامشيا ثاويا"[4].

فالهامش : حاشية الكتاب ، وهامش الصفحة : إضافة تعليق على المتن ، فمن الحديث قولهم : يعيش المرء على الهامش ، بمعنى : عاش منفردا أي : غير مندمج في المجتمع ،أو لا يريد الإندماج فيه ، وهذا بإرادته أما إذا كان بغير إرادته فهو مهمّش من قبل غيره ، أو ممن متسلط عليه . ومماسبق نستنتج أن كل هذه الدلالات المطلقة على الهامش توحي لنا بالدونية ، وقلة الشأن والوضاعة،والهامش ذو أبعاد متعددة ،ومختلفة ويطلق بصورة عامة على كل منبوذ ومتمرد ، ومفهوم التهميش حسب تعريف الدكتور أليينتودمان على أنه "جملة الإجراءات والخطوات المنظمة ، التي على أساسها توضع الموانع أمام الأفراد والجماعات ، حتى لا يتحصلوا على الحقوق ، والفرص والموارد ، وخدمات السكن ، والصحة التوظيف ،التعليم ،المشاركة السياسية ، وغيرها من الحقوق المتاحة للمجموعات الأخرى،والتي هي أساس التكامل الإجتماعي ، وقد أعتبر أليين مفهوم التهميش ، يتم إستخدامهفي أجزاء واسعة من العالم ، ليعبر عن التمييز والإقصاء الإجتماعي"[5].

ومما سبق يتضح إن الإنسان المهمش ، هو المحروم من الإستفادة من ممارسة حقوقه ، وحرمانه من المشاركة الفعالة في المجتمع على كافة الأصعدة.

فالتهميش غالبا ماتفرضه ظروف إجتماعية ، اقتصادية ، أو سياسية ،ومن جانب آخر قد يكون التهميش إختياريا إ ذا كان الفرد يفتقر للطموح .ولكن قد يكون سبب إنحراف الشخصية المهمشة ، ناتج عن عدم إدماجها في المجتمع ، وتغييب دورها .وينتج عن هذا التداخل فتنة اللغة وسحر الأسلوب ، وإرتحالات أساليب التعبير في مقامات الحريري ،التي تجمع بين ميكانيزما جدل القديم والحديث ، حيث سيسلط الضوء على الشخصيات المهمشة ،وإستكناه الأبعاد الدلالية والمسكوت عنه ،والدعوة إلى الالتفات للمهمشين في مقامات الحريري ، ليمنحها مجالا واسعا للتعبير عن أحزانها ، وآناتهاالخافتة ، جراء سياسة تركيز المركز ، وتهميش الهامش.

إذا بحثنا عن المعنى اللغوي لكلمة (مقامة) ، نجدها تحيل إلى المجلس ، والجماعة من الناس "وسميت الإحدوثة من الكلام مقامة ، كإنها تذكر في مجلس واحد ، يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها"[6]. وهذا المجلس يعقد في مكان وزمان معينين ، يضم متكلم ومستمعين يتم التواصل بينهم كلاما . ونصوص المقامات ترسم شخصيات ، جعلها مؤلفها تفتعل أحداث وأفعال متنوعة ، مثل الحيلة والكدية ، في عمل ‘بداعي قوامه راو خيالي ، يقوم بسرد المواقف مضيفا إلى اللغة تقنيات وأساليب إبداعية . منطلقا فتح طريقا جديد بفن النثر ، محددا النص لغاية مختلفة عما أرساه عموم النثريين التقليديين من إهتمامهم بجانب الأثر الذي يتركه للنص الأدبي ، وقد تحدد هذا المسار الجديد في منتصف القرن الرابع ، فأصبحت معه

اللغة ، موصولة بجانب منها بإصلاح ثقافة المجتمع ،ونقد الأنساق السلبية التي إعتاد عليها ، مستخدما أفضل الأساليب التي تسخر ثقافة الفرد ، معلنا ظهور مدرسة جديدة في فن النثر ، وهي مدرسة المقامات للهمذاني ، فقد صرح الحريري ،وهو من رواد مدرسة المقامات بأن الهمذاني هو المبتكر لهذا الفن ، في قوله : "مع إعترافي بأن البديع رحمه الله سبّاق غايات ،وصاحب آيات ،وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامة ، لايعترف إلا من فضائله ولايسري ذلك المسرى إلا بدلالته "[7]. وقد إختزن الحريري كم معرفي هائل وظفه لهذا المنتج الأدبي ، عن طريق ماتلاقه من دروس العلم من أساتذته ، وعلوم إستقاها من كتب التراث القديم ، وتراث مترجم ، وهذا ماميزه عن بقية كتاب المقامة بإسلوب لم يعهده غيره تقدم بإسلوب مغاير ،فيه نوع من الإبتكار ، حيث وجد أن المقامة بحاجة ،لى التقويم ، وذلك أن المقصد الحقيقي عند الهمذاني هو الثورة على المجتمع والتمرد عليه ، وقد وصف إبراهيم سعافين بأنها نوع من الحبكة النثرية قائما بذاته ، يجمع صور من الملامح النثرية ، القصد منها التعليم ، يقول : "إذا كنا نرى أن المقامة تحمل ملامح من الحديث ، والحكاية ، والعمل الدرامي ، وتسعى إلى التسلية ، والتعليم في آن معا ، بما يتخللها من ظرف وسخرية ودعابة ، وكدية ومجون بلغة خاصة بها ،فإنه من الأجدر بها أن تظل جنسا قائما يرأسه هو المقامة "[8].

وبذلك نالت مقامات الحريري مكانة غالية في عصره ،وإنتشرتإنتشارا كبيرا بعد ذلك في الشرق والغرب وترجمة للغات عدة[9] أثرت الآداب العالمية بهذا الفن ومايحمله من إبداعات فنية إسلوبا وموضوعا.

وقد نالت مقامات الحريري مكانة عالية في عصره ، وإنتشرتإنتشارا كبيرا بعد ذلك في المشرق والغرب وترجمة للغات عدة ، حيث ترجمها الحريري إلى العبرية ، وقام توماس تشنري بترجمتها إلى الإنكليزية 1867 م ، وتبعه إستجاس فترجمها أيضا سنة 1898 م ، وكذلك بريستون الذي ترجمها أيضا مرتين 1915 م، و1950م، وترجمها دي ساس إلى الفرنسية ، أما المانيا فقد ترجمها ركرتسجعا باللغة الألمانية. حاول الحريري في كل مقاماته رسم ملامح النص الذي قدمه لعرض الحكايات مع بعض العضات والتنبيهات ، وترك للمتلقي عملية الإصلاح الإجتماعي، وقد تحدث في مقدمته عن منهجه الذي سار عليه في مقاماته فقال أنه أنشأ "خمسين مقامة نحتوي على جد القول ، وهزله ،ورقيق اللفظ ،وجزله ،وغررالبيان ودرره ،وملح الأدب ونوادره إلى ماوشحتها بها من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ،والأحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ،والرسائل المبتكرة ،والخطب المحبرة والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الملهية..."[10].

الحريري هو : القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي ، ولد في بلدة قريبة من البصرة تسمى المشان ، ولد في سنة ست وأربعين وأربعمئة ، وتوفي سنة عشرة ، وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة ، في سكة بني حرام"[11] كان يزعم أنه من ربيعة الفرس ، كان غاية في الذكاء والفطنة ، والفصاحة والبلاغة ،وله تصانيف تشهد بفضله وتقر بنبله ، وكفاه شاهدا كتاب المقامات الذي شهد الأوائل به وأعجز الأواخر ،وقد عرف عنه أنه "غاية في الذكاء والفطنة ، شديد التأمل حتى ليصفوه بولعه بنتف لحيته عند الفكرة ،ولعل ذلك من فرط عصبيته وشدة حساسيته "[12].

وللحريري مؤلفات كثيرة منها[13] :

- درة الغواص في أوهام الخواص.
- ملحة الإعراب المنظومة في النحو. وله أيضا شرحها.
- ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره في المقامات. ومما تميز به هو رسائله ، التي تظهر مدى براعته فيلتزم بكل كلمة منها بالسين ، أو الشين نثرا ونظما ، وتقلد الحريري مناصب في قريته مثل منصب صاحب الخبر.

- وقد عاش الحيريري في فترة مهمة ،كان لها أثرها في العصر العباسي وهو يعد من أشهر مؤلفي المقامة بعد الهمذاني ، وتعتبر مقاماته من التراث النثري الذي أثبت وجوده ، فقدمت فلسفة إنسان في مكان ما ، وزمان ما بإسلوب مغاير لما سبقه ، وبما أن الدراسات النثرية لم تحظى بكثير من الدراسات التي كانت تهتم بالشعر أكثر ، كان هذا سبب مهم من مسوغات الدراسة ،ومحاولة فهم نصوص المقامات من خلال المناهج النقدية الحديثة ، والكشف عن الشخصيات الهامشية في مقامات الحريري ، والكشف عن قيمتها الأدبية ، معتمدة منهج التحليلي ومنهج النقد الثقافي لتحيل المقامات. التي يدعو كاتبها إلى النظر بعمق في العملة النصية التي تمتلك فكر الكاتب لا فكر الآخر ،بل يستخدم مذخوره العلمي ليولد الأفكار الأقرب إلى النص .لأنه قدم في كل مقاماته عرضا للحكايات مع بعض العضات والتنبيهات ، وترك للمتلقي عملية الإصلاح الإجتماعي ، مع التنويه برأيه في آخر كل مقامة بصوت الحارث بن همام ،عندما يرفض الطريقة التي إتبعها السروجي بإسلوب عتابي للشخصية ، الاسلوب خطابي للمتلقي.

وفن المقامة كغيره من الفنون ، لم يلد مكتملا ناضجا ، وإنما ظهرت قبله أفكار سابقة ، ساعدت الكتاب أن يستقون منها أفكارهم وإبداعاتهم ، لذلك يرى عبدالملك مرتاض ، " المقامة تعتمد في الأساس على فكرة الكدية نتيجة لإنتشار الفقر والعوز والحرمان بين أفراد المجتمع في العصر العباسي، حيث إتجه الناس إلى التسول من أجل كسب الرزق ، وحتى ينجح هؤلاء الفقراء في إستدرار عطف الناس وشفقتهم ، فقد لجأوا إلى إستخدام اللغة الفصيحة ، والكلام المؤثر الجميل ، ليصلوا إلى مرادهم وهو الحصول على المال"[14].

إن الحريري في مقاماته يجسد الصراع بين الأنا ، وبين الرؤية الكلية لتناقضات الواقع ، فالشخصية كائن لغوي "وبياض دلالي"[15] فضاؤه الورقة ، وتلعب المرجعيات الفكرية ، والجمالية ، والإيديولوجية دورا مهما في تشكيل المبدع لشخصياته . لذا فالشخصية الرئيسية في مقامات الحريري (أبو زيد السروجي) يعتبر شخصية هامشية ، لانه كان ضحية لمفارقات خارجية ، كانت سببا في إغترابه عن بلده (سروج) وضحية للرؤية المغلوطة التي كونها عن نفسه ،وعن الكون ، رؤية قائمة على عدم فهم واقعه وزمانه الحاضر والمستقبل ، إنه مبعد بسبب المحتل الذي يعبر عنه بـ (العلوج) في قوله :

مثل مالاقيتمدزد زحني عنها العلوج[16]

فبطل المقامة منفصل عن بلدته سروج ،وهذا الإنفصال كان سببا في تمزقه ووحدته وضياعه وتشتته ، بعدما كان يملك كل مقومات الحياة . حيث تسعى هذه الشخصية المهمشة إلى التجديد ،والخروج من بوتقة المجتمع ،وتحاول أن تتحول إلى مصدر قوة والبروز كشخصية تمتلك إمكانيات التغيير والتأثير ، فالتهميش وكما عرفه الدكتور (أليينتودمان) على أنه : "جملة الإجراءات والخطوات المنظمة ، التي على أساسها توضع الموانع أمام الأفراد والجماعات ، حتى لايتحصلوا على الحقوق ، والفرص والموارد ، وخدمات السكن ، الصحة ، التوظيف ، التعليم ، المشاركة السياسية ، وغيرها من الحقوق المتاحة للمجموعات الأخرى ، والتي هي أساس التكامل الإجتماعي ، ..."[17].

لذا فقد كانت شخصية أبو زيد السروجي ممزقة من الداخل ، فهو في حيرة وضياع ، بعدما كان يمتلك كل مقومات الحياة ، ويعبر عن هذه الحيرة بقوله :

غسان أسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمــة
فالبيت مثل الشمس إش راقــا ومنزلة جسيمة
واها لعيش كان لــي فيهـــا ولذات عميمة
أيام أسحب مطرفــي في روضها ماضي العزيمة
أختال في برد الشباب وأحتلي النعم الوسيمة[18]

ومما سبق يتضح أن السروجي تفنن في وصف قبيلته وأسرته التي كان ينعم بالعيش في ظلها ،ساعده على ذلك فصاحته ،وقوة حديثه ، وجمال بلاغته.

ومن أبرز المقامات التي أظهر فيها السروجي مساوئه الشخصية ، بل ومساوئ زوجته أم القاضي : المقامة التبريزية ، حيث وقف السروجي وزوجته أمام القاضي ، مدعيان أن بينهما خلافا ، واستطاعوا إغضاب القاضي ، وفي النهاية يعترف السروجي بأن هذه الحيلة كانت من أجل الحصول على المال ، وإن مبرر ذلك هو الفقر الذي كانا يعانان منه ، فأنشد يقول :

أنا السروجي وهذي عـرسي وليس كفؤ البـدر غير الشمس
ولاعدت سقياي أرضي غرسي لكنما منذ ليـــــال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي لانعرف المضغ ولا التحســي
قمنا لسعد الجـد أو للنحسي هـــذا المقام لإجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي إلى التحلي في لباس اللبس[19]

فغضب القاضي وأضطر إلى إعطاهما دينارا رغم بخله ، مما أثار غضبه هو مطالبة زوجة السروجي بمثل ماعطاه لزوجها قائلة :

ياأهل تبريز لكم حـاكم أو فـــي الحكام تبريزا
مافيه من عيب سوى أنه يوم الندى قسمته ضيزى[20]

وهذه الشخصية الهامشية الأخرى التي وظفها الحريري في مقاماته ، بهدف نقد الصورة السلبية للقاضي البخيل ، وقدرتها على الإحتيال للحصول على المال ، وإتخاذه مجلس القضاء مسرحا لها " ولعل أبرع مافي المقامات من أصناف الكدية ، التي تتخذ مجالس القضاء مسارح لها وأكياس الحاكمين هدفا لنبالها ، وبراعة هذا الفن تتجلى في أن القاضي غنما تربع على كرسيه ليفصل بين الناس وليكتشف المحتالين والمدلسين فإذا هو فريسة سهلة لهم ، لايكاد ينجو من براثمهم إلا بعد أن يدفع الجزية التي يفرضونها على الناس حكاما ومحكومين"[21].

ويبقى الأمل يرافق أبو زيد السروجي ، في الرجوع إلى وطنه يوم من الأيام فيخاطب مطيته ويرشدها إلى **سروج في قوله :**

سروج يا ناق فسيري وخدي وأدلجي وأوبي وأسئـــدي
حتى تطا خفاك مرعلها الندي فتنعمي حينئذ وتسعـدي[22]

من هنا ندرك أن الطباع السيئة والأخلاق المستهجنة لدى أبو زيد السروجي ، كانت نتيجة لما عاناه من شدة الغربة ، وضنك العيش ، حيث أمتهن الحيلة والمكر ، وحبه للخمر والمجون ، الذي جعله الحريري يمثل الوجه الثاني من شخصية أبي زيد ، ولكنه كان يتمتع بصفات كان ينفرد بها دون غيره من الشخصيات المقامية ، فكانت شخصيته مزدوجة ، يظهر في وجهه الأول كواعظ ،يذكر الناس ، أو خطيبا متوعد ، فهو لايتورع من ذكر الخمر موقف المتباهي ، الذي لايخاف لومة لائم ففي قوله :

قتل مثلي ياصاح مزج المدامي ليس قتلي بالهذم أو حسام[23]

فالسروجي لايخجل من مجموع الصفات السلبية التي ألبسها من الحريري ، بل يتفاخر ولايستحي من ذكرها ، ويلتمس العذر لنفسه كقوله في المقامة الدمشقية :

أنا أطروقة الزمان وأعجوبة الأمم
وأنا الحول الذي أحتال في العرب والعجم
غير أني أبن حاجة هاضه الدهر فاهتضم[24]

فهذا التناقض في شخصية أبو زيد السروجي ، وإنتسابه لطبقتين مختلفتين ، بين الرفاهية والفقر واليسر والعسر ، والمتحكم والمحكوم ، ما نتج عنه من إضطراب ، لتبدو شخصية هامشية ، ولكنها أضفت الكثير من الجماليات ، التي أبرزت تماسكا واضحا في البناء السردي للمقامات.

ومما تقدم تتبدى لنا المعاملة غير المتكافئة الأطراف بين شخصيات المقامة الحريرية ، لتتجلى لنا الفروق البارزة التي ترسم طرفين غير متوازيين ، أحدهما يمثل الغني والمسيطر ، الذي يستأثر بكل الإمكانات المادية والطبيعية ، والآخر المهمش بقدراته الضعيفة ، وإمكانياته المتواضعة.

ومن الشخصيات الهامشية في مقامات الحريري ، هي شخصية الإبن ، والتي كان نصيبها محدود ولايسمح لها بالنمو أو التطور ، حيث ويتغير ظهور هذه الشخصية ، ففي المقامة الكوفية نجد أن إبن السروجي يقدم نفسه بذكر أسمه وبعض الصفات والعلامات ، التي تساعد بطل المقامة بالتعرف عليه ، ليدرك أنه أبنه من صلبه ، وهذا مادار بينهما من حوار وهو شخصية هامشية ، يحاول إثبات نسبه لأبيه وكإن الأب لايعرفإبنهليسأ له ".. ولكن يافتى ماأسمك ، فقد فتنني فهمك ، فقال أسمي زيد ومنشئي فيد ، ووردت هذه المدرة مع أخوالي من بني عبس ، فقلت له زدني إيضاحا عشت ونعشت ، فقال أخبرتني أمي برّة وهي كإسمها برّة، أنها نكحت عام الغارة بماوان ، رجلا من سراة سروج وغسّان ، فلما آنس منها الإثقال وكان باقعة على مايقال ، ظعن عنها سرا وهلم جرا ، فما يعرف أحيّ هو فيتوقع ، أم أودع اللحد البلقع"[25]

ونجد في المقامة الدمياطية ، سعي أبو زيد في خطابه لإعطاء دلالات تناقض دلالات خطاب ولده، فأبدى كل منهما طريقته في التعامل مع الأشخاص ، وذلك للحصول على إقناع الناس للوصول إلى مآربهما.

يسأل أبو زيد ولده قائلا : "كيف حكم سيرتك ، مع جيلك وجيرتك ؟ "[26]

فيجيبه بأنه يرعى الجيرة ، ويحسن لمن أساء اليه ، ويسأل عمن لايسأل عنه ، ولاينتقم ممن ظلمه ... وهنا بجهر السروجي بصوته مركزا في خطابه على بذله أسباب الود والوفاء ، لمن يبادله مثلهما ، فهو يعامل الناس مثلما يعاملونه ، فإن عاملوه بإحسان فلهم مثله ، وإن أساؤوا إليه رد عل/المثل ، وهذا الخروج عن المألوف هو مايسمى بأدب الهامش ، ذلك الذي : "لايعرف التلون ، ولايرغب في إنتهاز الفرص ، ولا يمالي الأقوياء ، بل يعين برفع الظلم عن المظلومين ، ويكرس نفسه لخدمة قضيا الإنسان من حيث هو إنسان ، ويسعى لمساعدة المحرومين والضعفاء"[27].

لقد كان أسلوب الحريري مع هذه الشخصيات التهميش في الظل ، فهو يقوم بإغفال وتجاهل والتغييب فيجرده تماما من فعاليته ،ليظهره بصورة غير لائقة ، صورة التمرد وكسر القيود للوصول إلى أهدافهم ولا يكشف الراوي حقيقته إلا في أواخر المقامة عندما يتعرف على شخصية السروجي ، ليقدم الراويشخصية الإبن بصيغة نكرة بقوله : "سمعت صيّتا من الرجال يقول لسميره في الرّحال"[28].

فيظهره بصفات معاكسة لصفات البطل ، ليركز على جانب آخر يظهره لين الجانب ، وديع ، متساهل بالتعامل مع الناس ، ولكن أبن السروجي يقدم نفسه بصورة مباشرة ليقول : "أرعى الجار ولو جار وأبدل الوصال لمن صال ،وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط ، وأود الحميم ولو جرعني الحميم ،

وأفضل الشفيق على الشقيق ، وأفي للعشير وإن لم يكافئ ... ولاأتظلم حين أظلم ، ولا أنقم ولو لدغني الأرقم"[29] ولكنها صفات خيالية لمثل هذا المجتمع الذي يعيش فيه ، مما جعل والده ينتفض ليبين له أن هذه الصفات الملائكية لايستطيع معها في العيش في هذا المجتمع الذي لا يقبل تلك الصفات.

فالحكم على المهمش سلبا ، ليس إلا حكما نسبيا من زاوية ضيقة ، يستوجب رؤى مختلفة من جوانب مختلفة ، بل ويمكن النظر إلى الهامش من منظور إيجابي ف: " الوعي المعاصر يعي أن الهامشية وضع فوق فردي ، لاتمحوه ،رادة فرد ، ولابد من قبوله على نحو آخر ،بل لابد من الإنتفاع

به ، فيبني الهامشيون من خلاله عالما ممتعا ، أو محتملا مستقلا ولاتفسده سلطة أعلى ، نتيجة أنه في ظل الهامش ، لافي بؤرة النور ، وهنا ينتقل الوعي إلى ضرب من الإستخدام الإيجابي للكلمة"[30].

ومن الشخصيات الهامشية الأخرى في مقامات الحريري ، هي شخصية الزوجة ، التي تظهر بأحوال متقلبة ، حسب تقلب صفات الشخصية المقابلة لها وهي الزوج السروجي ، ففي المقامة التبريزية تظهر في موضع المخاصم للزوج ، ناكرة لعشرته ، ويبدو عليها الصغر في العمر كما وصفها الراوي في قوله : " فأومأ إلى إمرأة منهن باهرة السفور ، ظاهرة النفور"(31) . وهذه الأوصاف مناسبة تماما ، لامرأةخاصمة زوجها ، وأغترت بسفورها ، وقد إستطاع الحريري أن يختار بدقة تلك الأوصاف التي تناسب تذمرها على زوجها ، ولم يكتف الحريري بتهميش دور هذه الزوجة ، بل أختار من الأوصاف أبلغها على لسان زوجها بقوله : " ويلك يادفار يافجّار ، ياغصة البعل والجار ، أتعمدين في الخلوة لتعديي ، وتبدين في الحفلة تكذبي ، وقد علمت أني حين بنيت عليك ورنوت إليك ألفيتك أقبح من قردة ، وأيبس من قدة ، وأخشن من ليفة ، وأنتن من جيفة ، وأثقل من هيضة ، وأقذر من حيضة ، وأبرز من قشرة ،وأبرد من قرّة ، وأحمق من رجلة ، وأوسع من دجلة"[32]. في هذه المقامة تظهر الزوجة بأنها مخاصمة لزوجها ، ولكنها في الواقع مجرد مكيدة تشترك بها مع الزوج لإيهام القاضي الذي يكشف المكيدة بعدما يقع في مصيدة السروجي ، فهذه الفئة المستضعفة لم تستطع الانخراط بالنسيج الاجتماعي ، لأنها لم تستفد في الغالب من الخدمات الاجتماعية و الاقتصادية ، فه -*ي تعاني من الاستبعاد والتجاهل ، لذا يمكن القول أن التهميش هو : " الوقوف خارج العملية الإنتاجية للمجتمع "[33].

وقد تحاول هذه الشخصية إثبات ذاتها معولة على ما تظهره من براعة خطابها ،من القوة والحجاج حيث يصفها الراوي بقوله : "فهّم الشيخ بالكلام ، وتبيان المرام ، فمنعته الفتاة من أللإفصاح، وخسّأتهعن النباح ، ثم نضت عنها فضلة الوشاح وأنشدته بلسان السليطة الوقاح"[34]، فشعور الزوجة بعدم الاندماج بين أفراد المجتمع الذي تعيش فيه وتغييبها تماما ، هو ما دفعها إلى توجيه هذا الخطاب، كردة فعل اتجاه زوجها ونظرته الدونية لها ، ومحاولة التقليل من شأنها مما جعلها تشتكيه للقاضي ، في قولها :

ياقاضي الرّملة ياذا الذي فـــي يده التمرة والجمرة
إليك أشكو بعلي الـــذي لـم يحجج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكـه وخف ظهرا إذ رمى الجمرة
كان على رأي أبي يوسف في صلة الحجة بالعمرة[35]

يبدو أن الفعل الذي يمارسه الزوج ، بعدم إقامة علاقة زوجية مع زوجته ، وتهميشها ، مما أدى لعدم الانسجام بينهما ، فانقلبت هذه الشخصية إلى بركانا ثائرا ، ساخطة مما يفعله زوجها اتجاهها، من سوء المعاشرة والجفاء. وقد أستطاع الحريري ببراعته وتمكنه من اللغة ، أن يعتمد على شخصيات رئيسية وأخرى هامشية ، يستدعيها حسب الحاجة إليها.

ومن الشخصيات الهامشية الأخرى في مقامات الحريري هي شخصية القاضي ، التي أظهرها بصورة محمودة ، حسنة ، فهو يصف القاضي بصفات تليق بمقامه ، ولكنه يفرق بين الصفات العامة لمهنة القضاء ، وبين الصفات الخاصة لذلته ، ففي المقامة الصعيدية ، يصف القاضي بصفات بقوله : "فنعت لي قاض بها رحيب الباع ، خصيب الرّ97باع ، تميمي النسب والطباع ، فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام ، وأتنفق عليه بالإجمام ، حتى صرت صدى صوته ، ولسمان بيته ، وكنت مع اشتيّار شهده وانتشاق رنده أشهد مشاجر الخصوم ،وأسفر بين المعصوم منهم والموصوم"[36].

وفي مقامة أخرى يهمش دور القاضي ، ويصفه بالبخل والشح ، صفات ذاتية ، تخص القاضي لذاته وليس لمهنة القضاء ، وهذا ما نجده في المقامة التبريزية في قوله : "فلما حضر القاضي وكان ممن يرى فضل الإمساك ، ويضن بنفاثة السّواك"[37].

ولكن يبقى الحكم على المهمش سلبا ، ينطلق من زاوية ضيقة ، وماهو إلا حكما نسبيا ولكن من ناحية أخرى يمكن أن ننظر إلى الهامش منظور إيجابي ف: "الوعي المعاصر يعي أن الهامشية وضع فوق فردي ، لاتمحوه إرادة فرد ، ولابد من قبوله على نحو آخر بل لابد من الانتفاع به فيبني الهامشيون من خلاله عالما ممتعا ، أو محتملا مستقلا ولا تفسده سلطة أعلى ، نتيجة أنه في ظل الهامش ، لافي بؤرة النور ، وهنا ينتقل الوعي إلى ضرب من الاستخدام الإيجابي للكلمة"[38]

وتظهر براعة السروجي في الاحتيال على القاضي ويتخذ من مجالس القضاء مسرح له ، ولعل المفارقة الواضحة للعيان هي وقوع القاضي فريسة سهلة ، لايكاد ينجو من حيلهم ، ولعل أهم المقامات التي أستطاع بها الحريري تهميش شخصية القاضي بوصفه بخيلا ، هي المقامة التبريزية ، كما سبق ذكرها.

وهناك شخصيات أخرى وظفها الحريري هدفا لحبالة السروجي ، فهو يهمش شخصية الوالي من خلال إبراز بعض الصفات المستهجنة ، والطعن به بوصفه يمثل الطبقة الحاكمة المستبدة ، التي تسيطر على كل شيء ، فمن النصوص التي أستطاع بها المؤلف بالطعن بشخصية الوالي جاءت بقوله: "إلى أن تراضيا بعد إشتطاط اللّدد، بالتنافر إلى والي البلد وكان ممن يزنّ بالهنات ، ويغلّب حب البنين على البنات ، فأسرعا إلى ندوته كالسليك في عدوته فلما حضراه جدّد الشيخ دعواه ، واستدعى عدواه ، فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرّته وطرّ عقله بتصفيف طرّته"[39]ولعل النظر في هذا النص المعروض أعلاه يكشف عن تهميش لشخصية الوالي ، من خلال إضفاء صفات غير لائقة لشخصية الوالي ، وتدل هذه حيث جاءت الإشارة واضحة على الغلاميات في عصره وما قبله ، وكانت هذه الإشارة الوحيدة والتي لم يكررها في التسعة والأربعين الباقية . ولكن الحريري أهتم بتقديم صورة بتهميش دور القاضي ، وتقديمه بصورة المنحرف خلقيا ، وتقديمه الهدايا لصبي أعجبه ليكسب رضاه، حيث أشار الحارث في موقع آخر من المقامة الرحبية بقوله : "والغلام في ضمن تأبيه ، يخلب قلب الوالي بتلويه ، ويطعمه في أن يلبيه ، إلى أن ران هواه على قلبه وألب بلبه ، فسول له الوجد..."[40]. لقد أتاحت لنا هذه الشواهد المأخوذة من المقامات ، أن نقف على بعض الشخصيات الهامشية ، والتي تجلت في مظهرين : المظهر الأول يرتبط بشخصيات مهمة حاول الحريري تهميشها من خلال إضفاء بعض الصفات ، كالجفاء ، والبخل وقلة الإنفاق ، بل يتعدى ذلك إلى الإشارة الى الصفات المستهجنة أما المظهر الثاني : فقد تجلى في عدم تسليط الضوء على بعض الشخصيات ، وإكتفائه بالإشارة السريعة لها وعدم رفع شأنها ، بل يستدعيها حسب الحاجة إليها ، ومن أمثلتها ما ظهر في المقامة الصنعانية ، حيث يقول الحارث : "فالتفت إلى تلميذه وقلت : عزمّت عليّك بمن ستدفع به الأذى لتخبرني من ذا ، فقال : هذا أبو زيد السروجي ، سراج الغرباء ، وتاج الأدباء"[41].

فقد أقتصر دور التلميذ على فعل واحد ، هو الرد على سؤال الحارث ، وفي المقامة الكوفية ، هناك إشارة إلى شخصية هامشية أخرى وهي غلام الحارث ، الذي أقتصر دوره على تقديم الطعام ، والإستجابة لأوامر الحارث ، الذي يقول عنه : "أحضر الغلام ماراج"

الخاتمة:

حاول هذا البحث إستبصار الشخصيات الهامشية في مقامات الحريريحيث ظهرت تجليتاها واضحة من خلال البحث والتقصي في نصوص المقامات ، وقد إستفاد الحريري من الجانب التحريضي ، بالحث على خلخلة الثوابت الفكرية والأدبية السائدة في عصره ، حيث تصور لنا المقامات إضطراب الواقع العباسي وتناقضاته على جميع الأصعدة وقد إتضح إرهاب الإختلاف ، وتفضيل المصالح اللذان يجعلان من السلطة فوق الناس ، وهذا ماولد صراعا بين السلطة والمهمشين من أبناء المجتمع ، مما أدى إلى فقدان العلاقات الإنسانية الصحيحة وإحلال قيم بديلة زائفة ، كانت نتيجة رؤية خاطئة لقيمة الإنسان والوجود وتقويمها ، مما أدى إلى تهميش شخصيات عديدة والتخلي عنها في سبيل المنفعة.

كما بدا واضحا من دراسة المقامات ، إضطراب في المعايير الأخلاقية بسب إختلاط المجتمع العباسي ، بالكثير من الأجناس والثقافات ،مما أدى إلى إختلاط موازين القوى الفكرية والإجتماعية ، والسياسية كشف مصطلح الهامشية من خلال تطبيقه على المقامات فنتج عن ذلك نضج التجربة للمزج بين التراث العربي القديم ، وبين الدراسات الأدبية الحديثة.

أثبتت الشخصيات الهامشية في مقامات الحريري ، بأنها قادرة على تخطي التهميش ، لتندفع بعمق ومنح المقامات طاقة وتفاعل ومثال ذلك شخصية السروجي.

الهوامش:

(1) ناصر العجيلان : الشخصية في قصص الأمثال العربية : 54.
(2) يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : 42.
(3) أنطوان نعمة وآخرون : النجد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة : 437.
(4) ابن منظور لسان العرب :355.
(5) عادل إبراهيم شالوكا(حول مفهوم التهميش وأشكاله) :
(6) أبو العباس أحمد القلقشندي : صبح الأعشى : 110.
(7) الحريري : محمد بن قاسم بن علي : مقامات الحريري :14.
(8) سعافين إبراهيم : أصول المقامات : 18.
(9) عبد الرحمن مرعي :الأدب العبري في الأندلس بين التقليد والتجديد :281.
(10) خطبة مقامات الحريري : 13.
(11) ابن أبي العباس شمس الدين : وفيات الأعيان وأبناء الزمان : 43.
(12) الجويني مصطفى : التصوير الإجتماعي في مقامات الحريري : 128.
(13) عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي : 29.
(14) ابن خلكان وفيات الأعيان : 65.
(15) فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات : 9.
(16) شعر الحريري : مقامات الحريري : 317.
(17) عادل أبراهيم شالوكا : حول مفهوم التهميش :
(18) الحريري : مقامات الحريري : 65.
(19) مقامات الحريري : المقامة التبريزية : 427.
(20) المصدر نفسه:428.
(21) عبد الهادي حرب : موسوعة أدب المحتالين : 589.
(22) مقامات الحريري : المقامة الشتوية : 114 - 115.
(23) مقامات الحريري : المقامة الشيرازية : 389.
(24) مقامات الحريري : المقامة الدمشقية :118.
(25) مقامات الحريري : المقامة الكوفية : 45 - 46.
(26) مقامات الحريري : المقامة الدمياطية : 40.
(27) صلاح فضل وآخرون : أسئلة الثقافة العربية وحرية التعبير : 83.
(28) مقامات الحريري : المقامة الدمياطية : 33.
(29) المصدر نفسه: 33 - 34.
(30) www-jeat.
(31) المقامة التبريزية : 438.
(32) المصدر نفسه: 441.
(33) مجدي أحمد توفيق : أدب المهمشين : wwwje-com.
(34) المقامة الرملية : 514.

(35) المصدر نفسه: 515.
(36) المقامة الصعيدية : 406.
(37) المقامة الدمياطية : 36.
(38) المقامة التبريزية : 43.
(39) www.jea- com.
(40) المقامة الصنعانية : 23.
(41) المقامة الكوفية : 49.

المصادر والمراجع :

- ناصر العجيلان ، الشخصية في قصص الأمثال العربية ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، ط1 ، 2009.
- يمنى العيد ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار المغرب ،بيروت ، لبنان أ ط1 ، 1990.
- انطوان نعمة وآخرون ، النجد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003.
- أبن منظور ، لسان العرب ، المجلد السادس.
- عادل إبراهيم شالوكا، (حول مفهوم التهميش وأشكاله) ،2012/7/15، الموقع : net. ttp: // Alrakobawww
- أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية القاهرة ، 1919، ج14.
- الحريري ،محمد بن قاسم بن علي ، مقامات الحريري ، علق عليه وضبطه ، أحمد عبد السلام،ط7 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 2011، خطبة المقامات.
- سعافين إبراهيم ، أصول المقامات ، دار المناهل ،ط1 ، 1987.
- عبد الرحمن مرعي ، الأدب العبري في الأندلس بين التقليد والتجديد.
- خطبة مقامات الحريري
- ابن أبي العباس شمس الدين ، وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، دار صادر ،بيروت ، ج4، 1994.
- الجويني مصطفى ، التصوير الإجتماعي في مقامات الحريري ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الصاوي ، نوفمبر 1972، ج30.
- عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرعاية، الجزائر ، ط1 ، 1980.
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج4.
- فيليب هامون ،سيميولوجية الشخصيات ، ترجمة سعيد بنكراد دار الكلام ، الرباط ، 1990.
- شعر الحريري ، مقامات الحريري ، المقامة الصورية.
- عادل إبراهيم شالوكا، حول مفهوم التهميش وأشكاله ،2012، الموقع
- الحريري ، مقامات الحريري ، المقامة المراغية.
- الحريري ، المقامة التبريزية.
- الحريريري، مقامات الحريري.
- عبد الهادي حرب ، موسوعة أدب المحتالين.
- الحريري ، المقامة الشتوية.
- الحريري ، المقامة الشيرازية.
- الحريري ، المقامة الدمشقية.

- الحريري ، المقامة الكوفية.
- الحريري ، المقامة الدمياطية.
- صلاح فضل وآخرون ، أسئلة الثقافة العربية وحرية التعبير ، تح : خالد جبر ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010.
- www.jeat
- مجدي أحمد توفيق ، أدب المهمشين : 0www je-com
- المقامة الرملية.
- المقامة الصعيدية.
- .jeat-com. www.
- المقامة الصنعانية.
- المقامة الكوفية.